النقوش التأسيسية على الجسور المملوكية في الشوف (لبنان)
(دراسة فنّية وتحليلية)

Foundation Inscriptions on Mamluk Bridges in Chouf (Lebanon)
(Technical and Analytical Study)

محمد طلال كنعان

باحث أثري في علم آثار الشرق الأدنى (الحقبة الكلاسيكية والوسيطة)

Mohamad Kanaan

Archaeologist in Near Eastern Archeology (Classical and Medieval Period)

Mohamad.kanaan286@gmail.com

الملخص:

يتناول هذا المقال التعريف بنقشين عربيين تأسيسيين موجودين على جسرين مملوكيين في القسم الجنوبي من جبل لبنان (إمارة الشوف)؛ ثم يتطرق إلى دراستهما تحليلياً وذلك لتبيان أهمية هذه النقوش في دراسة المنطقة تاريخياً وسياسياً واقتصادياً واجتماعياً، وفي ابراز أهميتها في إعادة رسم الطرقات والمسارات المملوكية القديمة، ولإيضاح أهمية هذه الطرقات والمسارات خلال الحقبة المملوكية وذلك من الناحية التجارية والعسكرية والمدنية، وللتحديد العلمي الدقيق للفترة الزمنية التي أسست أو توسعت فيها هذه الطرقات سواءً أكانت تعود للحقبة المملوكية أم لفترات أقدم أو أحدث. كما ويدرسهما من الناحية الفنّية لتبيان اتجاهات الكتابة المحلية، ومدى تأثرها بالأسلوب العام والشائع خلال الحقبة المملوكية. كما ستساعدنا عملية دراسة محتوى هذه النقوش في التعرف على أسباب البناء مما يعكس الأهمية التي حظيت بها إمارة الشوف، ويسلط الضوء على الإمتيازات التي تمتع بها سكانه، وما لذلك من أبعادٍ لوجستية مملوكية في ضمان استقرار المناطق البعيدة عن مركز الحكم المملوكي، ولإحكام السيطرة على الخطوط التجارية البرية الدولية الرابطة بين مصر وبلاد الشام.

الكلمات الدالة:

لبنان؛ الشوف؛ العصر الوسيط؛ الحقبة المملوكية؛ الجسور؛ النقوش الإسلامية.

Abstract:

This article focuses on two Arabic inscriptions founded on two Mamluk bridges in the southern part of Mount Lebanon (the Emirate of Chouf); It studies them analytically in order to show the importance of these inscriptions in studying the region historically, politically, economically and socially, and to highlight their importance in redrawing the ancient Mamluk roads and paths, and to clarify the importance of these roads and paths during the Mamluk era in terms of trade, military and civil matters, and for the precise scientific determination of the time period that these roads were established or expanded, whether they belong to the Mamluk era or to earlier or more recent periods. It also studies them from a technical point of view to show local writing trends, and the extent to which they were affected by the general and the common writing style during the Mamluk era. The process of studying the content of these inscriptions will also help us to identify the reasons for the Bridge construction, which reflects the importance enjoyed by the Emirate of Chouf, and it highlights the privileges enjoyed by its residents, and the logistical dimensions of Sultan in ensuring the stability of areas far from the Mamluk ruling center, and to tighten control over the international trade lines that linked between Egypt and the Levant.

Key words:

Lebanon, Chouf, Medieval age, Mamluk period, Bridges, Islamic inscriptions.

المقدمة:

على بعد كيلو مترات قليلة وإلى الجهة الجنوبية الشرقية من بيروت يقع قضاء الشوف، ممتداً من ساحل المتوسط في الغرب وحتى البقاع الغربي من الشرق، وبين نهر الأولي من الجنوب ونهر الدامور من الشمال. وهو أحد الأقضية الستة لجبل لبنان، والجزء الجنوبي منه (الخريطة ١).

ويدل الإسم على معناه، فالشوف حسب معجم لسان العرب كلمةٌ من جذرٍ عربيٍ بمعنى جلا أي شاف الشيء، وهنا تأتي من الإشراف والارتفاع[١].

وهذا الأصل العربي للكلمة مقترن بالعديد من التسميات للمدن والقرى والمناطق داخل الشوف نفسه، فكانت تسمية الأشواف تطلق على المناطق حسب العشائر القاطنة فيها، مثلا: شوف بني هلال نسبة لعشيرة بني هلال العربية، وشوف الشويزاني نسبة لعشيرة بني شويزان... كما أُطلقت التسمية نسبة للمزروعات كشوف الخرنوب، وكذلك نسبةً للشكل كالشوف الحيطي لوقوفه كالجدار؛ إلى أن تمّ الاختصار، وأُطلق إسم الشوف على المنطقة كلها[٢].



(خريطة ١) جبل لبنان مع الأقضية الإدارية الستة؛ الحكيم، أنطوان، *من متصرفية الجبل إلى دولة لبنان الكبير*، بيروت: الدار اللبنانية للنشر الجامعي، ١٩٢٠م، ١٠.

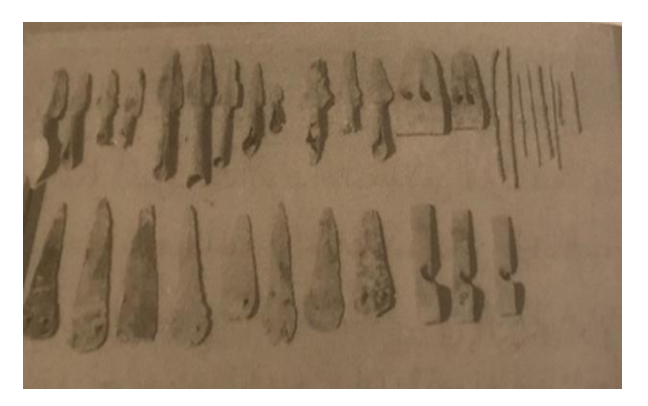
[١] إبن منظور، *لسان العرب*، ط. ٣، بيروت: دار صادر، ١٩٤٤ م، ١٨٥.

[٢] البعيني، حسن أمين، *بيروت وصيدا وجبل لبنان في العصور القديمة والوسطى*، بيروت: الدار التقدمية، ٢٠١١م، ٣٨ .

وقد ورد اسم الشوف في العديد من الأخبار والمصادر، ومنها ما ذكره الملك عز الدين أيبك في أواسط القرن الثالث عشر عندما اقتطع أجزاءً من الشوف للأمير البحتري سعد الدين ناصر، كما وردت تسمية الشوف في الوثائق الصليبية التي تَحدَّد فيها إقطاع الفرسان التوتونيين في الشوف[٣].

ويحتوي الشوف كغيره من المناطق اللبنانية على عددٍ من المخلفات الأثرية التي تعود إلى الحقبات الهلنستية والرومانية والبيزنطية والعصر الاسلامي على اختلاف حقباته.

وقد أورد المهندس زاهر الغصيني بعد قيامه بمسح أثري لأجزاء واسعة من الشوف العديد من تلك الأثار وبقاياها كالأديرة والكنائس والمساجد والمقابر والخانات والمعابر والجسور وعيون الماء، إضافةً إلى العديد من الأثار المنقولة المصنوعة من الفخار والعظم والمعدن كالحديد والنحاس والبرونز وغيرها[٤].



(صورة ١) أدوات وأسلحة برونزية تعود للحقبة الهلنستية؛ يونس، أحمد عبد الحليم، *المعالم الأثرية والتاريخية في إقليم الخروب*، بيروت: مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ١٩٩٥م، ٧٥.

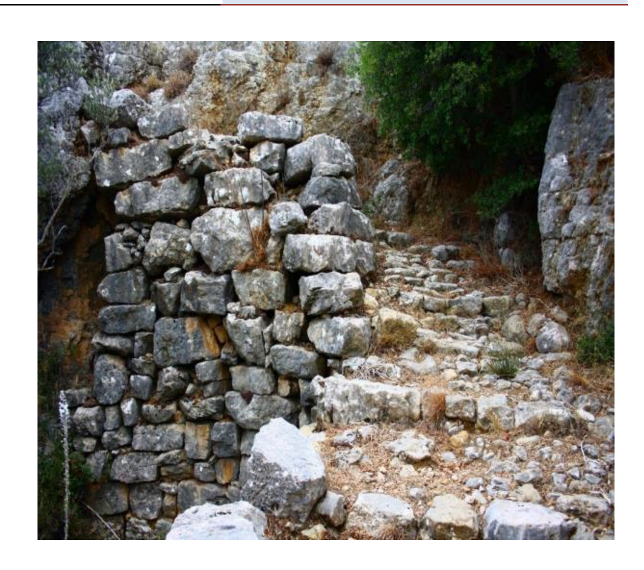


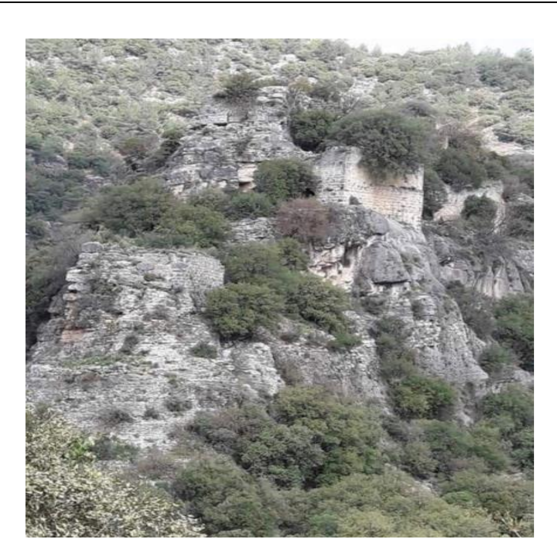
(صورة ٢) عملات تعود إلى حقب مختلفة في المغيرية–الشوف؛ يونس، *المعالم الأثرية والتاريخية في إقليم الخروب*، ١١٦.

[٣] البعيني، *بيروت وصيدا وجبل لبنان في العصور القديمة والوسطى*، ١٠٤.

[4] Zaher, Gh., *Shouf Built Heritage Conservation Project: Higher Shouf Region*, Beirut: Lebanon Raidy Company, 2015, 39.

محمد طلال كنعان | DOI 10.21608/jguaa.2021.93669.1199-


(صورة ٣) المعبور الروماني، وهو عبارة عن درج محفور في الصخر © **تصوير الباحث.**


(صورة٤) قلعة أبو الحسن على نهر الأولي © **تصوير الباحث.**

ويحتوي الشوف أيضاً على عددٍ لا يستهان به من الآثار والعمائر المملوكية؛ فهناك الجسور كجسر بركة العروس وجسر الجاهلية وغيرهما، وهنالك عيون الماء كعين ماء المختارة وعين قني والسمقانية، وكذلك المساجد كمسجد مزبود ومسجد دير القمر، بالإضافة إلى بقايا المساكن والخانات وغيرها[٥]، كما ويضاف إلى ذلك عددٌ لا يستهان به من النقوش التأسيسية والتي سوف يتمحور البحث على دراسة اثنين منهما...

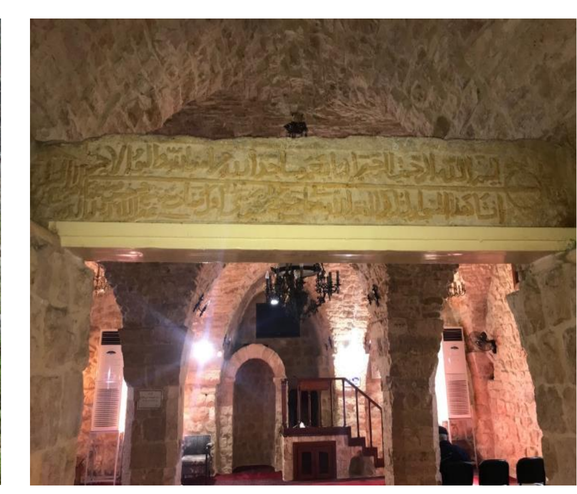
١. المماليك:

بعيداً عن الخوض في تاريخ المماليك وأوصولهم ونشأتهم؛ كان الشوف من أوائل المناطق التي خضعت لسيطرة المماليك سنة ٦٥٨هـ الموافقة لسنة ١٢٦٠م ، حيث انطلقوا منه للسيطرة على بقية أجزاء لبنان. وكان الشوف تابعاً لولاية صيدا حسب التقسيم الاداري المملوكي. وامتد حكم المماليك حوالي ثلاث قرون من سنة ٦٤٧هـ إلى ٩٢٢هـ الموافقة لِسنة ١٢٥٠م إلى ١٥١٧م؛ وعمل المماليك خلالها على إرساء الاستقرار وضمانه في المنطقة، الأمر الذي شجع على ازدهار المدن والمناطق التي خضعت لهم ما ميّز الحِقبة المملوكية بنشاطها التجاري والعمراني، وذلك باللإضافة إلى ما اشتهرت به السلطنة المملوكية بأنها دولة الحروب حيث خاض جيشها معاركاً من الأهم تاريخياً حيث انتصروا على المغول وأوقفوا تمددهم، ونجحوا في التصدي لحملات الفرنج محررين أجزاءً كبيرة من ساحل وداخل شرقي المتوسط[٦]. واشتهر المماليك إلى جانب نشاطهم العسكري بحبهم للعمارة التي امتازت بالإتقان والدقة والضخامة وذلك رغبة منهم بإبراز القوة والتأكيد على سيادتهم.

---

[٥] كنعان، محمد، "الجسور المملوكية في القسم الجنوبي من جبل لبنان (الشوف)"، *رسالة ماجستير*، كلية الآثار/الجامعة اللبنانية، ٢٠١٩م، ١٢.

[٦] حمزة، نديم، *التنوخيون أجداد الموحدين الدروز ودورهم في جبل لبنان*، ط.١، بيروت: دار النهار للنشر، ١٩٨٤م، ٤٩.



(صورة ٥) العمائر المملوكية في الشوف، صورة لمسجد مملوكي في مزبود مع نقش كتابي يعود لعام ٧٥٩هـ،

© تصوير الباحث.



(صورة ٦) العمائر المملوكية في الشوف، صورة لمطحنة مملوكية قرب جسر القاضي في الشوف

© تصوير الباحث.



(صورة٧) العمائر المملوكية في الشوف، صورة لخان مملوكي على الطريق في مرج بسري

تصوير الدكتور وسام خليل.



(صورة ٨) العمائر المملوكية في الشوف، صورة لعين ماء في عين قني تعود لعام ٩١٣هـ

© تصوير الباحث.

٢. النقوش التأسيسية:

يمتاز الشوف بعددٍ لا يستهان به من النقوش التأسيسية المنفذة على العمائر ومنها الجسور وعيون الماء والمساجد. وسوف نستعرض في هذا البحث النقوش التأسيسية على الجسور المملوكية؛ وهما جسر بركة العروس وجسر الجاهلية.

ولمعالجة هذا الموضوع بشكلٍ منهجيٍ، سنعرض صورة النقش وموقعه على الجسر، وتفسير ما ورد فيه، ومعناه، ونوع الخط المستعمل، وتاريخيه وخلال فترة حكم مَنْ مِنَ السلاطين تم تأسيسه، والغاية من

وجود هذا النقش وتأثيره، وأهميته في دراسة تاريخ الجسر، والآثار المرتبطة به، وصولاً إلى أهميته في دراسة تاريخ المنطقة، وكل ذلك من خلال دراسة النقش دراسة فنّية وتحليلية.

٢,١. نقش جسر بركة العروس:

٢,١,١. الجسر:

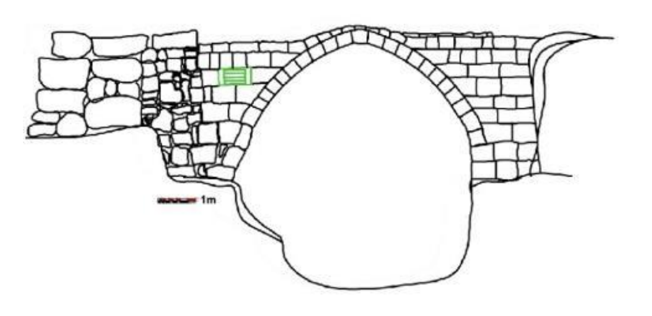
يقع جسر بركة العروس في بلدة عين قني، ويقوم على نهر نبع مرشد وهو أحد روافد نهر الباروك، يقوم الجسر على انشقاقٍ أو انهدامٍ صخري عميق يصل في أسفل الجسر إلى حوالي ٢٥ متراً [٧]. ويوجد في الجهة الشرقية من الجسر وضمن الصخر بركة ماء طبيعية وصغيرة، يصبُّ فيها شلالٌ مائي، ويصل عمقها إلى حوالي ٥ متر[٨].

وحول أصل التسمية؛ تروي إحدى الحكايات الشعبية أنَّ العرائس كُنّ يستحمِمْنَ في هذه البركة كعادةٍ سائدة خلال التجهيز للعرس. وتقصُّ روايةٌ أخرى، أنّه خلال تجهيز إحدى العرائس، سقطت في البركة، وماتت، فسمِّيت البركة بركة العروس، تيمُّناً بها، ومنها أُخذ اسم الجسر، وهو الاسم المعروف به حالياً.

يتألف الجسر من قنطرة واحدة، ويتَّجه الجسر من الشمال إلى الجنوب، ويصل بين بلدة المختارة وقرية عين قني، ويتألف من ٨ مداميك في الجهة الجنوبية، و ٩ في الجهة الشمالية.



(صورة ٩) جسر بركة العروس، الواجهة الشرقية للجسر، © **تصوير الباحث.**



(شكل ١) رسم بياني يظهر الواجهة الشرقية للجسر، ويظهر باللون الأخضر موضع النقش التأسيسي.

نقش تأسيسي.

[٧] كنعان، محمد، "الجسور المملوكية في القسم الجنوبي من جبل لبنان (الشوف)"، *رسالة ماجستير*، كلية الآثار/الجامعة اللبنانية، ٢٠١٩م، ٥٦.

[٨] وقد عملتُ شخصياً ضمن البعثة الأثرية "دروب وجسور وادي نهر الباروك" التي أجرت عملية ترميم الجسر سنة ٢٠١٢م، بقيادة الدكتور وسام خليل وبإشراف المديرية العامة للآثار.


(صورة ١٠) جسر بركة العروس أثناء عملية ترميم الجسر سنة ٢٠١٢م © **تصوير الباحث.**


(صورة ١١) جسر بركة العروس بعد الإنتهاء من الترميم سنة ٢٠١٢م © **تصوير الباحث.**

٢,١,٢. النقش التأسيسي:

ويوجد على المدماك السادس من الجهة الجنوبية الشرقية من الجسر نقشٌ كتابيٌ تأسيسي باللغة العربية منفذٌ على حجر يسمى بالسلطاني[٩] بقياس ٠،٨٦ × ٠،٤٢ سم؛ أمَّا قياس النص المكتوب فهو ٠،٥٣ × ٠،٣٤ سم، ويحمل النقشُ نصَاً قرآنياً مضافاً إليه تاريخ بناء الجسر، وذلك ضمن أربعة أسطر، كلها بعرض ٠،٠٨ سم، مع خط فاصل بين الأسطر حوالي ٠،٠١ سم، وزخرفة من الجهتين اليمنى واليسرى للحجر[١٠].

[٩] وهو من الصخور المتحوّلة عن الصخر الجيري القاسي، ويعتبر هذا الحجر من الأحجار المرغوبة لدى الطبقة الميسورة من سكان جبل لبنان، كما ويعتقد سكان منطقة الشوف السويجاني أنَّ مبان عدة في دير القمر وبيت الدين قد شُيدت بهذا النوع من الصخر. وهنا نعتقد أنَّ تسمية "سلطاني" قد تكون مأخوذة من دور هذا النوع من الصخور (ذات اللون الأبيض الذي يميل قليلاً إلى البني الفاتح، وتتخلله مشحات من اللون الزهري أو الأحمر الخفيف)، وقد تعود التسمية إلى الحقبة المملوكية أو العثمانية نسبة إلى المشاريع السلطانية التي كانت تشيد بهذا النوع من الحجر الممتاز النوعية (مقابلة مع الدكتور وسام خليل المحاضر في الجامعة اللبنانية، ٢٠ كانون الثاني ٢٠٢٠م).

[١٠] كنعان، محمد، "الجسور المملوكية في القسم الجنوبي من جبل لبنان (الشوف)"، *رسالة ماجستير*، كلية الآثار/الجامعة اللبنانية، ٢٠١٩ م، ٥٧.



(صورة ١٢) صورة النقش التأسيسي لجسر بركة العروس © **تصوير الباحث**.

تفريغ النقش التأسيسي

السطر الأول: بسم الله الرحمن الرحيم

السطر الثاني: فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً

السطر الثالث: عمل هذا الجسر المبارك بعون الله وحسن توفيقه في شهر

السطر الرابع: صفر الخير سنة ثلاثة عشر وتسعمائة والحمد لله وحده

يمين النقش: الملك لله

يسار النقش: هو الله ربي وكفا حسيب



(صورة ١٣) صورة تبيّن موقع النقش التأسيسي لجسر بركة العروس حيث يشير السهم الأحمر © **تصوير الباحث**.

٢,٢- جسر الجاهلية:

٢,٢,١. الجسر:

يقع الجسر في قرية الجاهلية، حيث بُني فوق نهر الجاهلية. وسمِّي الجسر نسبةً للنهر الذي يعبُر تحته، وهو الاسم المعروف به حالياً، ويصل الجسر بين الساحل ومدينة بعقلين عبر برجا؛ ويتَّجه من الشرق إلى الغرب؛ ويتألف من قنطرتين؛ الكبيرة هي الواقعة في الجهة الغربية، والصغيرة في الجهة الشرقية. وبنيت

ركائزه الثلاث على الصخر الطبيعي، ويتألف الجسر في المنطقة الوسطى والغربية من ١٣ مدماكاً، وفي المنطقة الشرقية من ٧ مداميك، وذلك حسب ارتفاع الأرض وانخفاضها[١١].





(صورة ١٤) صورة تبين الواجهة الجنوبية لجسر الجاهلية

© تصوير الباحث.

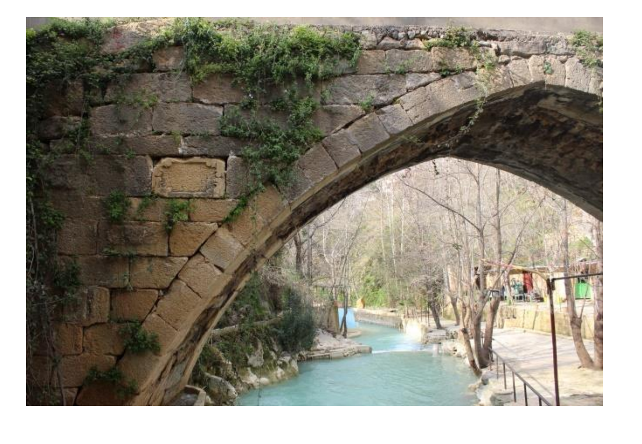
(شكل ٢) رسم بياني يظهر الواجهة الجنوبية لجسر الجاهلية، ويظهر باللون الأخضر موضع النقش التأسيسي.

قاطع مائي.

نقش تأسيسي.



(صورة ١٥) صورة تظهر موضع النقش على الجسر حيث يشير السهم الأحمر © **تصوير الباحث.**



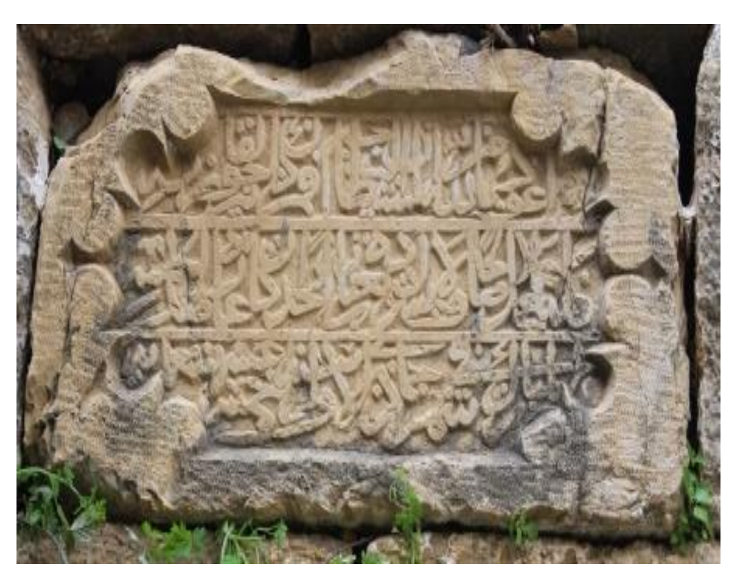
(صورة ١٦) صورة تظهر موضع النقش على الجسر حيث يشير السهم الأحمر © **تصوير الباحث.**

٢,٢,٢. النقش التأسيسي:

يقع النقش في المدماك ١١ من الجهة الجنوبية الغربية؛ وهو عبارة عن نصٍّ منقوش على الحجر السلطاني؛ مقاسه ٠،٧ × ٠،٤٥ سم، وتبلغ المسافة المكتوبة داخلياً ٠،٥٠ × ٠،٣٢ سم، وهي مقسَّمة إلى ثلاثة أسطر، المسافة الفارغة لكلٍّ منها ٠،١٠ سم، وبينهما خطَّان بعرض ٠،٠١ سم، ويوجد على الأطراف

[١١] كنعان، محمد، "الجسور المملوكية في القسم الجنوبي من جبل لبنان (الشوف)"، *رسالة ماجستير*، كلية الآثار/الجامعة اللبنانية، ٢٠١٩ م، ٣٥.

الخارجية رسمٌ تزيينيٌ على الحجر يحيط بالكتابة. وهذا النُقش عبارةٌ عن آية قرآنية، مُلحَقةٍ بتاريخ بناء الجسر[١٢].



(صورة ١٧) صورة قريبة للنقش المنفذ على جسر الجاهلية

© تصوير الباحث.

تفريغ النقش التأسيسي

السطر الأول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فمن كان يرجو لقاء ربه

السطر الثاني: فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحداً عمل هذا الجسر

السطر الثالث: المبارك في شهر جمادى الأولى سنة خمسة عشر وتسعمائة

٣,٢,٢. الدراسة الفنّية للنّقوش:

إنّ المتأمل في هذه النقوش يدرك مدى الجهد الذي بُذل في نحت وصقل خامتها؛ ولمّا كان هذا الحجر هو القرطاسُ الذي سيُكتبُ عليه، فبالقدر الذي سوف يُصقلُ فيه الحجر، ستسهلُ عملية النحت والنقش عليه[١٣].

ونُفّذَ النقش على جسر بركة العروس على حجر سلطاني وهو من أكثر الأنواع المستعملة في الأبنية السلطنية المملوكية، أمّا النقش على جسر الجاهلية فقد نُفّذَ على حجرٍ جيريٍ، وقد استعمل هذا الحجر أيضاً في العمائر المملوكية، وذلك لتوفره وسهولة العمل به خاصة بالنحت.

والمؤكد أنّ النحات قد اطلع على النص الذي يراد كتابته، قبل عملية النحت والتقطيع، فقدر حجمه ومقاساته وأبعاده، والتقسيم بين السطور والكلمات، فقام بنحت إطار بارزٍ على محيطه واضعاً النص ضمنه. ومِنْ ثمَّ قام بنحت وتوزيع الأشرطة أو الخطوط المتوازية والمتساوية في المسافات الفاصلة بينها من أجل

[١٢] كنعان، محمد، "الجسور المملوكية في القسم الجنوبي من جبل لبنان (الشوف)"، *رسالة ماجستير*، كلية الآثار/الجامعة اللبنانية، ٢٠١٩ م، ٣٥.

[١٣] المومني، سعد محمد حسن، *عمارة جسرين على نهر الأردن في العصر المملوكي*، القاهرة: دار المنظومة، ٢٠١٥م، ٢٩٧.

الكتابة عليها، مضيفاً الى ذلك كل التزيينات أو النحوت البارزة في الإطار أو إذا كان بحاجة ليضيف عليها بعض الجمل[١٤].

وبعد أن أنهى النحات عمله في نحت الحجر وصقله، أتى دور الخطاط الذي يبدو أنه قام بترويس قلمه بشكلٍ جيدٍ حيث أزال كل التشعيرات من رأس القلم، بإعتباره عاملاً أساسياً لجودة الخط و وضوحه، فلا نلاحظ وجود أي علامٍ أو خطوطٍ زائدةٍ، بل يظهر لنا الدقة والإتقان في كتابة الحروف من حيث التعريض والتدقيق. وتمَّ توزيع النقش على أسطرٍ متساويةٍ في المقاسات من حيث الطول والعرض والارتفاع في كل ما تقتضيه الحاجة وحجم النص المراد كتابته، ولهذا نجد أنّ كل نقش اختلف في عدد سطوره وكلماته. فنقش جسر بركة العروس يتألف من أربع سطور، أمّا نقش جسر الجاهلية فيتألف من ثلاث سطورٍ، إلا أننا نرى في كلا النقشين الكلمات محصورةً ضمن السطور التي نحتها النحات.

واستعمل خط الثلث في كلا النقشين؛ وهو أشهر خطوط النقش في الحقبة المملوكية وكان الوزير محمد بن مقله (٣٢٨ هـ/ ٩٣٩ م) أول من وضع قواعده. وكان الخطاط لا يعتبر خطاطاً إلا إذا أتقنه[١٥].

وبعد إنتهاء عملية التخطيط يعود النحات مرةً أُخرى للنقش ليضع عليه لمساته الأخيرة، وهنا يكمن الإبداع؛ فعليه أن يكون دقيقاً بشكلٍ كبيرٍ حتى لا يتخطى حروف النقش المخطوطة أثناء تفريغ المساحات الفاصلة بين الكلمات والحروف، وذلك للحصول على كتابة واضحة وبارزة.

وتتجلى سمات البراعة في تكرار شكل الحرف بطريقة دقيقة ومنتظمة لكل من الخطاط والنحات، فترى كل الحروفِ واضحةً وبحجمها الطبيعي وتناغم تام. فغياب الفراغ بين الكلمات دليلٌ على براعة النحات والخطاط في أخذ المقاس ونحت الحجر[١٦]. وذلك ما نجده في النقشين إن كان ذلك بين السطور أو في الكواة الجانبية كما في نقش جسر بركة العروس، أو لتتزين كما في نقش جسر الجاهلية و وضع مزيد من الكلمات للشكر والثناء.

٣. الدراسة التحليلية للنقوش:

يُعتبر هذين النقشين بمثابة ختم للجسرين، وإن غاب عنهما اسم السلطان أو الوالي الذي بُني كل جسر في عهده. والواضح من النصين، أنهما سليمي اللغة والانشاء وسهلي القراءة. واستُهل نقش جسر بركة العروس بالبسلمة، في حين استُهل نقش جسر الجاهلية بالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم؛ وهذا الاستهلال

---

[١٤] المومني، *عمارة جسرين على نهر الأردن في العصر المملوكي*، ٢٩٧.

[١٥] سلوم، يحيى، *الخط العربي تاريخه وأنواعه*، بغداد: مكتبة النهضة، ١٩٨٤م، ١٦٦.

[١٦] المومني، سعد محمد حسن، *عمارة جسرين على نهر الأردن في العصر المملوكي*، القاهرة: دار المنظومة، ٢٠١٥م، ٢٩٨.

محمد طلال كنعان | DOI 10.21608/jguaa.2021.93669.1199-

هو للتبرك ولضمان حسن الصنع، ولطلب التوفيق من الله بعيداً عن الشيطان وشره، وهذا الاستهلال نجده في بدايات الأعمال والأقوال لدى المسلمين.

وأُتبعت البلسمة/ الاستعاذة التي وضعت في النصف الأول من السطر الأول في كلا النقشين، بالآيةٍ القرآنيةٍ التالية: "فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحد"[١٧]. وقد نُقشت في تتمة السطر الأول وكامل السطر الثاني في نقش جسر بركة العروس، في حين نُقشت في تتمة السطر الأول وحتى منتصف السطر الثاني في نقش جسر الجاهلية.

و تُفسَّر هذه الآية عند الطبري وإبن كثير، بأنّ أياً من كان يريد الثواب والجزاء، فليكن عمله موافقاً لشرع الله في عبادة الله الواحد وعدم الإشراك به، حيث يبتغي وجه الله بهذا العمل الذي يُقدم خالصاً لوجهه[١٨].

وفي السطر الثالث لنقش بركة العروس ذُكر تاريخ بناء الجسر وماهيته بينما ذُكر تاريخ البناء والماهية في نقش جسر الجاهلية في منتصف السطر الثاني. ويذكر تاريخ بناء الجسر مستهلاً بعبارة "عمل هذا الجسر المبارك"؛ ويأتي وصف كل جسرٍ بالمبارك كدليلٍ على أهمية المبنى. وكلمة **المبارك** من ألفاظ التشريف التي اعتمدت في النقوش التأسيسية للعمائر خلال العصر المملوكي[١٩]. واعتماد المصطلح هذا مستندٌ على الآية الكريمة التالية والتي تتناول بناء الكعبة المشرفة، "إنّ أولَ بيتٍ وضِعَ للنَّاسِ للذي ببكَّةَ مُباركاً وهدى للعالمين"[٢٠].

ثم أتبع التعبير السابق الذكر بالتاريخ؛ وهو تأريخ هجريٌ متعارفٌ عليه، وهو المستعمل خلال الحقبة المملوكية. ويأتي تاريخ تأسيس جسر بركة العروس على النحو التالي "شهر صفر الخير سنة ثلاث عشر وتسعماية للهجرة"، بينما يأتي تأريخ نقش جسر الجاهلية في شهر جمادى الأولى سنة خمس عشر وتسعماية. ويظهر أمامنا أنّ الفرق بين بناء الجسرين هو عامين فقط، وهذه الفترة تعود إلى أواخر الحقبة المملوكية، وبالتحديد خلال عهد السلطان الأشرف قانصوه الغوري[٢١].

وينتهي نقش جسر الجاهلية بتاريخ التأسيس، في حين يكمل نقش جسر بركة العروس بعد التأريخ بالثناء على الله والشكر له كختام للنقش في نهاية السطر الرابع "والحمد لله وحده". كما نجد في الكواة الجانبية

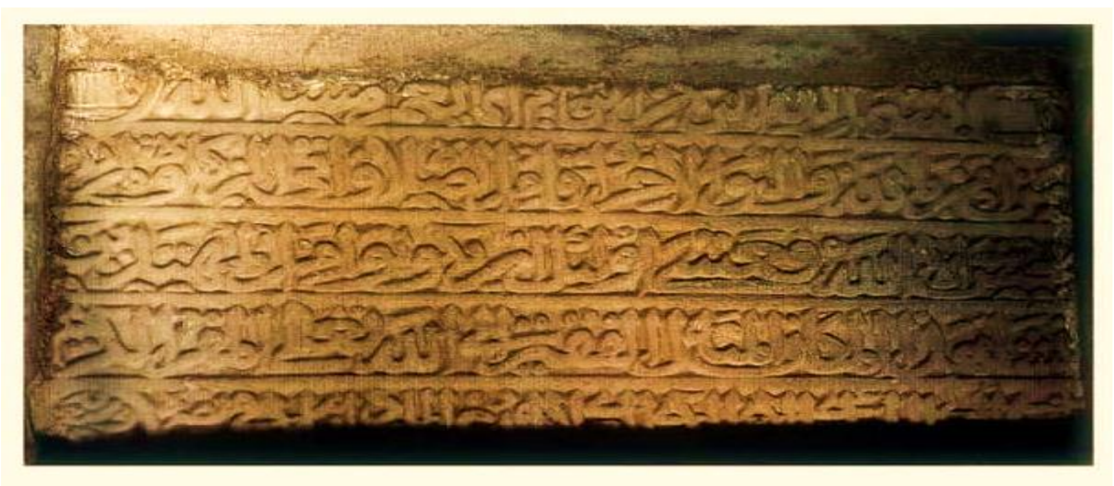
[١٧] القرآن الكريم، الكهف: ١١٠.

[١٨] مخلوف، حسنين، *صفوة البيان لمعاني القرآن*، القاهرة: إدارة البحوث والدراسات الاسلامية، ١٩٨٦م، ٣١٥.

[١٩] الباشا، حسن، *الألقاب الأسلامية في التاريخ والوثائق والأثار*، القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٧٨م، ٤٤٧.

[٢٠] القرآن الكريم، آل عمران: ٩٦.

[٢١] دهمان، محمد أحمد، *ولاة دمشق في عهد المماليك*، دمشق: دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، ١٩٨٤م، ١٢.



صورة رقم ١٨: النقش التاسيسي فوق باب المدخل للمدرسة الماردانية والذي يقول: بسم الله الرحمن الرحيم. إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الأخر وأقام الصلوة وآتى الزكوة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين. أنشأ هذا المكان المبارك الفقير إلى الله تعالى المقر الكريم. العالي المولوي الأميري الكبيري العلائي أيدغمش المارداني الأشرفي عز نصره؛ البزري، أمين، *الخط العربي في العمارة: الكتابات في الأثار الإسلامية في مدينة طرابلس أيام المماليك*، بيروت: المؤسسة الوطنية للتراث، ١٩٩٩م،١٦٠.

للنقش في الإطار الجانبي من جهة اليمين عبارة "الملك لله" كإشارة معنوية على التواضع، وكإشارة مادية على أنه قد بُني بأمرٍ من الوالي أو السلطان حتى وإنْ لم يأتي النقش على تحديد اسمه. وفي الجهة اليسرى للنقش نجد عبارة "هو الله ربي وكفى حسيب"، في إشارة مباشرةٍ على الاستعانة بالله والتوكل عليه. وتغيب مثل هذه الكواة أو النحت الجانبي عن نقش جسر الجاهلية والذي نلاحظ به وجود رسومٍ تزينيةٍ، وهي عبارة عن دوائر هندسية الشكل. ويوجد في لبنان عددٌ كبيرٌ من النقوش المماثلة لهذين النقشين ولاسيما على المساجد وعيون الماء في الشوف؛ كعين ماء عين قني، وعين ماء المُختارة، وعين ماء نيحا، وعين ماء السمقانية، وعين ماء مزبود[٢٢]، وفي مسجد مزبود. كما يوجد في مدينة طرابلس عددٌ كبيرٌ منها، وذلك لأهمية مدينة طرابلس خلال تلك الحقبة، ونذكر من أهمها نقوش الجامع المنصري الكبير، وجامع طينال، ونقوش المدرسة القرطاوية والمدرسة الظاهرية والمدرسة السقرقية والمدرسة الماردانية، وسبيل عين التينة[٢٣].

ويأتي نقش جسر نهر الكلب كأهم هذه النقوش بالنسبة لدراستنا هذه كونه يعود لنفس الفترة الزمنية، والمؤرَّخ لعهد السلطان المملوكي برقوق؛ وذلك حسب النقش العربي الموجود، والذي أنجزه سيف الدين أبو العزائم، وذلك عام ٧٤٠هـ / ١٣٨٢م ، وبنفس الطريقة يبدأ النقش بالبسملة تليها الآية القرآنية مع تاريخ بناء الجسر وبأمر السلطان ومن نفَّذه.

[٢٢] كُنيت هذه العيون بأسماء المناطق التي وجدت فيها وذلك لعدم وجود دراسات قديمة تتناول ذكرها، وقد تم إعادة هذه النقوش إلى الحقبة المملوكية وذلك بحسب التاريخ المنقوش عليها.

[٢٣] البزري، أمين، *الخط العربي في العمارة: الكتابات في الأثار الإسلامية في مدينة طرابلس أيام المماليك*، بيروت: المؤسسة الوطنية للتراث، ١٩٩٩م، ٩١-٩٦، ١١٨، ١٢٦، ١٤٣، ١٤٨، ١٦٠، ١٦٩.

ومن باب المقارنة بين النقوش العثمانية والمملوكية؛ يحملُ كل نقشٍ تأريخاً مُحدداً يساعدنا في تحديد الحقبة سواءً أكانت مملوكية أو عثمانية، ونجد أيضاً إختلافاً في طريقة الكتابة ونوع الخط وحجم الحجر، وزخارفه يساعدنا في تحديد الحقبة الصحيحة.



صورة رقم ١٩: صورة تظهر النقش المنفذ على جسر نهر الكلب، وللأسف فالنقش لا يُمكن إظهاره بوضوح في الصورة لكونه قد تآكل نتيجة قِدمه وتعرضه لعوامل الحتّ الطبيعية © **تصوير الباحث**.

٣. ١.الاطار التاريخي:

إنّ وجود التأريخ على النقشين السابقين دليلٌ يثبت أنّها يعودان إلى الحقبة المملوكية، دون الغوص في الطريقة الهندسية للبناء وتحليلاتها. فالنقش على جسر بركة العروس مؤرخ بسنة ٩١٣ هـ أي ما يقارب سنة ١٥٠٧ م، ونقش جسر الجاهلية يعود تأريخه لسنة ٩١٥ هـ أي حوالي ١٥٠٩ م.

٢.٣- الإطار الاجتماعي والاقتصادي:

١,٢,٣.الناحية الدينية:

إن إتباع المماليك للمذهب السُنّي حيث حكموا بشرعه، فرض عليهم إبراز هذا الجانب الديني في كل أعمالهم. فترى معظم الآيات التي نقشت على أبنيتهم تدل على طلب التبرك والتوسل، بالإضافة إلى الثواب والأجر، وأن يكون العمل خالصاً لله، ومن الأيات التي استعملت على الجسور الآية ١١٠ من سورة الكهف، والتي وردت على النقشين السابقين.

ومن الآيات التي وردت في النقوش على عيون الماء:

- "إنّ الأبرارَ يشربون منْ كأسٍ كان ميزاجُها كافورًا، عيناً يشربُ بها عبادُ اللهِ يفجِّرونَها تفْجيراً" [٢٤].
- "قُلْ إنِّي أخافُ إنْ عَصيتُ ربِّي عذابَ يومٍ عظيمٍ" [٢٥].
- "يسقَونَ فيها كأساً كانَ ميزاجُها زنجبيلاً، عيناً فيها تسمى سلسبيلاً" [٢٦].
- "إنَّ هذهِ إلا تذكرةً، فمنْ شاءَ اتخذ إلى ربهِ سبيلاً" [٢٧].

[٢٤] القرآن الكريم، الإنسان: ٥-٦.

[٢٥] القرآن الكريم، الزمر: ١٣.

[٢٦] القرآن الكريم، الإنسان: ١٧-١٨.

وهناك من النقوش ما جمع بين آيتين لأجل الثواب والتبرك ومنها، "عيناً فيها تسمى سلسبيلاً" [٢٨]؛ "سقاهم ربهم شرابا طهورًا" [٢٩].

ومن النقوش التي وجدت على المساجد، ويطلب بها الأجر والثواب وثبات الإيمان، "إنّما يعْمرُ مساجِدَ اللهِ منْ آمنَ باللهِ واليومِ الآخرِ" [٣٠].

٢,٢,٣.من الناحية الاقتصادية:

لعبت تلك النقوش دوراً كبيراً في دراسة وفهم تاريخ المنطقة، خاصة فيما يتعلق بالنشاط التجاري وطرقه في شرقي المتوسط، فقد كان التجار بشكل عام يفضلون استعمال الطرق البرية عن البحرية، وكان من الضروري ايجاد طرق ومسارات لربط المناطق والبلدات والقرى بين بعضها البعض، وبين الداخل والساحل، وبين مناطق الولايات ومراكز النفوذ، وسواءً كانت تلك الطرقات للتجارة أو للجيش والحاميات أو للاستعمال المدني، فإن الطرق عبر الشوف ضرورية جداً؛ وذلك كون مدينة صيدا كانت خلال الحقبة المملوكية ميناءً لدمشق من جهة، ولأهميتها في ربط المناطق بين بعضها البعض ولضمان السيطرة على خطوط الامداد والتجارة من جهة أخرى. وكون الطرق في الشوف هي طرقٌ تمر عبر الجبل فإن وجود العوائق الطبيعية والأنهار والانشقاقات والنهدامات الأرضية، أوجد الحاجة لضرورة ربط المناطق بالجسور والمسارات والطرق لأجل تقصير المسافات وتسهيل المرور [٣١]

---

[٢٧] القرآن الكريم، الإنسان: ٢٩.

[٢٨] القرآن الكريم، الإنسان: ١٧.

[٢٩] القرآن الكريم، الإنسان: ٢١.

[٣٠] القرآن الكريم، التوبة: ١٨.

[٣١] عبد النور، إحسان، *تجارة صيدا مع الغرب من منتصف القرن السابع عشر إلى أواخر القرن الثامن عشر*، بيروت: منشورات الجامعة اللبنانية قسم الدراسات التاريخية، ١٩٨٧م، ١١٥-١١٦.

الخاتمة والنتائج:

بناءً على ما سبق، نتبين الأثر الكبير للنقوش في فهم الأبعاد الاجتماعية والسياسية والدينية والاقتصادية للحقبة الزمنية المحددة في النقوش، كما تساعدنا الدراسة الفنية والتحليلية على تأريخ العديد من الأثارات التي تحمل نقوشاً مشابهة. فالنقشين على جسري بركة العروس والجاهلية، ساهما بشكل كبير في اثبات حالة الاستقرار التي حظي بها الداخل اللبناني (الشوف) خلال الحقبة المملوكية، الأمر الذي شجع على بناء الجسور وربط المناطق بعضها البعض لتسهيل الخطوط التجارية والعسكرية، الأمر الذي يسلط الضوء على التفاعل التجاري المتنامي والذي ربط الساحل بالداخل خلال تلك الفترة، والذي كان الشوف مركزاً له. إنّ دراسة بقية النقوش التأسيسية في منطقة الشوف لابد وأن يسلط الضوء على المناحي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لمنطقة الشوف في الحقبة المملوكية

ثبت المصادر والمراجع:

أولاً. المراجع العربية:

– إبن منظور، *لسان العرب*، ط.٣، بيروت: دار صادر، ١٩٩٤م.

- IBN MĀNẒUR, *līsān al-ʿArab*, Beīrut: Dār Ṣādir, 1994

– الباشا، حسن، *الألقاب الأسلامية في التاريخ والوثائق والأثار*، القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٧٨م.

- AL-BĀŠĀ, ḤĀSĀN, *al-Alqāb al-islāmīya fī al-tārīẖ waʾl-wāṯāʾiq waʾl-Aṯār,* Cairo: Dār al-Nahḍa al-ʿArābīya, 1978

– البزري، أمين، *الخط العربي في العمارة: الكتابات في الأثار الإسلامية في مدينة طرابلس أيام المماليك*، بيروت: المؤسسة الوطنية للتراث، ١٩٩٩م.

- AL-BIZRĪ, AMĪN, *al-Ḫāṭ al-ʿarābī fī al-ʿimāra: al-Kītābāt fī al-aṯār al-islāmīya fī madīnat Ṭrābluṣ ayām al-Māmālīk*, Beīrut: al-Muʾasasa al-Waṭaniya līʾl -Turāṯ, 1999 .

–البعيني، حسن أمين، *بيروت وصيدا وجبل لبنان في العصور القديمة والوسطى*، بيروت: الدار التقدمية، ٢٠١١م.

- AL-BĀʿĪNĪ, ḤASAN AMĪN, *Beīrūt wa Ṣaydā wa Ğabāl Lūbnān fī al-ʿuŞūr al-Qadīma waʾl-Wūsṭa,* Beīrut: al-Dār al-Tāqdumīya, 2011...

– الحكيم، أنطوان، *من متصرفية الجبل إلى دولة لبنان الكبير*،بيروت: الدار اللبنانية للنشر الجامعي، ١٩٢٠م.

- AL-ḤAKĪM, ANṬWĀN, *min Mutṣrīfīyat al-Ğābāl ilā - dawlat Lūbnān al-Kābīr,* Beīrūt: al-Dār al-Lubnānīya liʾl- Nāšr al-Ğamiʿī, 1920

– حمزة، نديم، *التنوخيون أجداد الموحدين الدروز ودورهم في جبل لبنان*، ط.١، بيروت: دار النهار للنشر،١٩٨٤ م.

- ḤAMZĀ, NĀDĪM, *al-Tanūẖīūn ağdād al-Mūwāḥdīn al-Drūẓ fī Ğābāl Lubnān,* Ṭ. 1, Beīrūt: Dār al-Nahār līʾl-Nāšr, 1984.Ḥ

– دهمان، محمد أحمد، *ولاة دمشق في عهد المماليك*، دمشق: دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، ١٩٨٤م.

- DUHMĀN, MUḤAMMAD AḤMAD, *wūlāt Dīmāšq fī ʿahd al-Māmālīk,* Damascus: Dār al-Fīkr līʾl-ṭībāʿa waʾl-Tāwẓīʿ waʾl-Nāšr, 1984

– سلوم، يحيى، *الخط العربي تاريخه وأنواعه*، بغداد: مكتبة النهضة، ١٩٨٤م.

- SĀLŪM, YAḤYĀ, *al-Ḫaṭ al-ʿArābī tārīẖuh wa anwāʿuh*, Baghdad: makṭabaṭ al-Nahaḍa, 1984.

– عبد النور، إحسان، *تجارة صيدا مع الغرب من منتصف القرن السابع عشر إلى أواخر القرن الثامن عشر*، بيروت: منشورات الجامعة اللبنانية قسم الدراسات التاريخية، ١٩٨٧م.

- ʿABD AL-NŪR, IḤSĀN, *Tiğarat Saydā mʿa al-Ġārb min Mūntaṣaf al-Qarn al-Sābīʿ ʿăšar īla - awāẖīr al-Qārn al-Tāmīn ʿāšar*, Beīrūt: Manšūrāt al-Ğāmīʿa al-Lubnānīya Qīsm al-Dīrāsāt al-tārīẖīya, 1987.

– كنعان، محمد، "الجسور المملوكية في القسم الجنوبي من جبل لبنان (الشوف)"، *رسالة ماجستير*، كلية الآثار/الجامعة اللبنانية، ٢٠١٩م.

- KANʿĀN, MUḤAMMAD, «al-Ǧusūr al-Māmlūkīyā fī al-Qīsm al-Ǧanūbī min Ǧabal Lubnān (al-Šūf)», *Master Thesis*, Faculty of Archoealogy/ Lebanese Universty, 2019.

– المومني، سعد محمد حسن، *عمارة جسرين على نهر الأردن في العصر المملوكي*، القاهرة: دار المنظومة، ٢٠١٥م.

- Al-MŪMINĪ, SAʿD MUḤAMMĀA ḤASAN, *ʿimārat Ǧīsraīn ʿala Nahar al-Urdun fī al-ʿaṣ r al-Mamlūkī*, Cairo: Dār al-Manẓūma, 2015

– مخلوف، حسنين، *صفوة البيان لمعاني القرآن*، القاهرة: إدارة البحوث والدراسات الاسلامية، ١٩٨٦م.

- MAḫLŪF, ḤASANĪN, *Ṣafwat al-Bayān Līmaʿānī al-Qurʾān*, Cairo: Idārat al-Buḥūṯ waʾl-Dīrāsāt al-īslāmīya, 1986.

– يونس، أحمد عبد الحليم، *المعالم الأثرية والتاريخية في إقليم الخروب*، بيروت: مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ١٩٩٥م.

-YŪNĪS, AḤMĀD ʿABD AL-ḤĀLĪM, *al-Maʿālim al-aṯārīya waʾl-tārīḫīya fī iqlīm al-Ḫurūb*, Beirut: Mūʾasasat ʿIz al-Dīn līʾl-ṭībaʿa waʾl-Nāšr, 1995

ثانياً: المراجع الأجنبية:

- GHOSSAINI, ZAHER, *Shouf Built Heritage Conservation Project: Higher Shouf Region.* Beirut: Lebanon Raidy Company, 2015.